

مظاهر التغيير العربي المقلق لـ"إسرائيل"

د. إياد أبو زنيط

باحث في مؤسسة ييوس للاستشارات والدراسات الإستراتيجية، رام الله

"إسرائيل"، بعد أكثر من سبعين عاماً على تأسيسها، ما زالت الأسئلة المتعلقة بوجودها تدور في فكر قادتها وسياسيها ومفكريها، فهي لا شك متأثرة بالمحيط، ولم يقتصر أثر التغيرات العربية التي جرت حولها في السنوات العشر الأخيرة على التأثير الأمني والعسكري فقط، وإنما تنظر له على أنه مؤشرٌ على تغيرات في العقل العربي المصاحب للحراك والمؤثر فيه، وقد يمتد بعد أجيال لينتج فكراً آخر غير قائم على الاقتناع بالهزيمة، وإنما يقود نحو نهوضٍ مرتقب، مصاحبٍ للبناء الإنساني العربي، وهو الأمر المزعج لـ"إسرائيل" حقيقةً.

ولا يخوض الباحث في النقاش هنا من باب التبشير بأمرٍ إيجابي بقدر محاولة الوصول لمقاربة نظرية تدرس أهم أسس التغيير التي من الممكن أن تنتج مستقبلاً. ومن هنا يتناول أهم العناصر المقلقة لـ"إسرائيل" جزاء التغيير الحاصل.

أولاً: التغيير في فكر الشعوب

شكّلت أحداث العام 2011م (الثورات العربية) وما تلاها تغييراً جديداً في نظرة الشعوب لحكامها، فللمرة الأولى استطاعت بزخمٍ شعبي إسقاط أنظمة حكمتها لسنواتٍ، تحت وطأة التوريت واحتكار السلطة، فكسرت بذلك الصورة النمطية التي تقول بعدم قدرتها على التغيير. خاصة وأنّ تلك التغييرات لم تأتِ ضمن ترتيب مسبق ولم تقدها حركات نقابية أو مؤسساتية، وإنما بدأت عفوية وتدحرجت حتى وصلت لإسقاط أنظمةٍ حاكمةٍ لها، فرغم أنّها لم تكن متوقعة في ظل حالة الإحباط والعزوف السياسي التي عرفتتها الشعوب العربية رغم وجود إرهابات ومؤشرات كانت تدل على إمكان الانفجار في أي لحظة، فلم يكن هناك تخطيط مسبق للثورة على النظام في تونس أو في مصر، بل كانت تظاهرة مطلية تحولت تحت وطأة العنف والتجاهل إلى ثورة شعبية تطالب بإسقاط النظام. وحتى مع التدخل الأجنبي الصريح في ليبيا

أو الموقف المتناقض بخصوص اليمن، في كل هذا المشهد لم تكن هذه الثورات تُصنف ضمن الثورات الطائفية أو الدينية أو حتى ثورة الجياع، بل كانت ثورات من أجل الحرية والكرامة يقودها شباب الطبقة الوسطى.¹

بغض النظر عن نجاح الحراك العربي أو الثورات العربية، إلا أنها أظهرت كذلك الوزن الحقيقي للشارع العربي وقدرته على التأثير، تلك الشعوب التي ظلت مغيبةً في الماضي، فيما باتت الآن تمارس حقها في التغيير، واختيار ممثليها.

سبب هذا الأمر خلاً في الحسابات "الإسرائيلية" التي اعتمدت لسنواتٍ على علاقاتٍ جمعتها بالأنظمة الحاكمة لتلك الشعوب، والمسيطرة عليها، هذا التغيير والتحول دعا "الإسرائيليين" إلى مراجعة حساباتهم، خاصة فيما يمكن أن يُشكله خطرُ اختيارِ حكامٍ يتطلعون لتلبية طموحات شعوبهم. خاصةً وأنَّ ما جرى سمح للشعوب بالتعبير عن طابع المشاعر تجاه "إسرائيل"، ففي مقال نشره في صحيفة معاريف يجزم الجنرال عاموس جلوبوع أنَّ ما حدث من حراك أعاد "إسرائيل" إلى المربع الأول من حيث رفض شرعيتها لدى الجمهور العربي. ناهيك عن أن "إسرائيل" زادت اهتماماتها استخبارياً بالرأي العام العربي بعد الثورات، بسبب اعتقادها لتعاظم مكانة وتأثير الجماهير العربية على دائرة صنع القرار في العالم العربي.²

ثانياً: الديمقراطية المقلقة

عزز الحراك العربي والثورات العربية في بدايتها من عامل القلق في نفوس القادة "الإسرائيليين"، فالشعوب التي عاشت مراحل قاسية من التجارب مع ديمقراطياتٍ مزعومة، استطاعت أخيراً أن تتحرر من قيد مفروض عليها، طالما ساعد على وصفها بالشعوب الدونية، ومنح إسرائيل نوعاً من التعالي والتشدد بكونها واحة الديمقراطية الأولى في الشرق الأوسط.

¹خليدة كعسيس، "الربيع العربي بين الثورة والفوضى"، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 421، 2014/3م، ص 225-226.

²صالح النعامي، "إسرائيل..فزع من الربيع العربي واحتفاء بالثورات المضادة"، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/6/19م، أنظر الرابط التالي:

أظهرت الثورات وقت حدوثها، أنَّ الشعب العربي طامحٌ كغيره لتحقيق الديمقراطية، وحكم نفسه بنفسه، والاستعاضة عن سنواتٍ طوالٍ من الحكم الديكتاتوري بحكامٍ منتخبين يُمثلون تطلعات الشعوب، ويُلَبون طموحاتهم التواقية نحو النهوض والتحرر، ومواكبة الشعوب الأخرى. شكلاً الأمر في بدايته صدمةً "إسرائيلية"، فكيف لدولةٍ تتغنى بالديمقراطية وتسوّق نفسها على أنها الرقم الأول فيه في الشرق الأوسط، وتستمد الدعم والتأييد من خلاله، ترى وفي لحظة من الزمن جيرانها يصارعونها ديمقراطيتها، وينافسونها فيها، إنَّه أمرٌ وإن حصل يعني كشفاً للستار الذي تترسّت خلفه "إسرائيل" لسنوات، ونفياً لزعمها المتواصل بادعاء الديمقراطية، أمرٌ يعني وبالضرورة شعوباً تدرك أهمية الخطر "الإسرائيلي" ودوره في تفتيتهم، أمرٌ يعني نقطة تحول هام في الصراع ما بين إسرائيل ومحيطها، ومن هنا كانت خشية إسرائيل للديمقراطية التي من الممكن أن تنشأ نقطة مفصلية في حساباتها المستقبلية، خاصة وأنَّها هي ذاتها باتت تميل نحو التطرف عاماً بعد عام، وصارت تياراتها الدينية المتشددة أكثر الفاعلين في ساحتها الداخلية وأحياناً الخارجية.³

ومن هنا رأى "الإسرائيليون" وجود عوائد إيجابية توفرها أنظمة الاستبداد التي كانت موجودة أو ما زال بعضها قائماً للأمن الإسرائيلي، وقد أشار **يورام ميتال** إلى ذلك صراحةً عندما تحدث عن الأنظمة الشمولية في العالم العربي تستمد شرعيتها من الأطراف الخارجية وتعاونها فيما تتجاهل إرادة الشارع العربي، وهذا يُسهل ممارسة الضغوط عليها، دون الحاجة للشعوب.⁴ وفي نفس السياق أشار المؤرخ الإسرائيلي **توم سيجيف** إنَّ سلام "إسرائيل" كان مع أشخاص الحكام وليس مع الشعوب، وأي تأثير للشارع العربي في صنع القرار، سيكون له انعكاساتٌ سلبية على العلاقات والسلام مع إسرائيل. على الرغم من أنَّ الموقف من إسرائيل لم يتصدر قائمة أولويات الثورات العربية في مراحلها الأولى، إلا أنَّ معظم القراءات الإسرائيلية أشارت إلى أنَّ إسرائيل ستكون الخاسر الأكبر منها في نهاية المطاف لأنَّ ثمة اعتقاد بأنَّ إسرائيل لم تشهد

³ألآن جريش، "الديمقراطية المخيفة: تأثير الثورات العربية على إسرائيل"، القاهرة: مؤسسة الأهرام، مجلة السياسة الدولية، 2011/6/5م، أنظر الرابط

التالي: <http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/6/51/1541>

⁴عدنان أبو عامر، "منظومة الأمن الإسرائيلي والثورات العربية"، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016م، ص 125.

منذ قيامها محيطاً مضطرباً ويعاني من عدم الوضوح، مثلما هو موجود اليوم، فالتغيرات متسارعة، ومفاجئة على الأغلب.⁵

إذاً، حركت الثورات في بدايتها القلق في نفوس الساسة "الإسرائيليين"، وأثارت خوفهم من ديمقراطية حقيقية باتت على الأبواب المحيطة، لكن انحراف الثورات عن مسارها لسبب أو آخر، أعاد الاطمئنان إلى "إسرائيل" مرةً أخرى، وعزز قناعتهم حول انهزامية العرب، فالثورات لم تفض إلى ديمقراطيات حقيقية حتى اللحظة كتلك التي أفرزتها الأنظمة الشيوعية في شرق أوروبا، أو انهيار الديكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية، فتوقف الثورات عند إسقاط الأنظمة، بدون الانتقال إلى الديمقراطية، عمل على استعادة إسرائيل لنظيرتها المتنبأة (الديمقراطية لا تصلح للعرب)، فقد ردّ نتنايهو خلال استقباله رئيس الحكومة الكندية في الكنيست، على أحد النواب العرب المقاطعين لخطابه قائلاً: "هذا ما لا يمكن فعله في دمشق، لأن الحرية موجودة هنا، في إسرائيل، فقط".⁶

حاولت "إسرائيل" استغلال ما يجري من صراعات في المنطقة لصالحها، ولصالح تسويق نفسها الدولة الديمقراطية الأولى التي تعيش وسط غابة من الديكتاتوريات، كل ذلك مصحوباً بنزعة استعلائية مقصودة لإظهار الذات. فالمؤرخ الإسرائيلي (بيني موريس) رأى أن الثورات العربية أكدت على همجية المحيط العربي، فالشعوب العربية والفلسطينيين أبدعوا في استخدام وابتكار أساليب القتل، كما يبدو من القتل الجماعي الحاصل في العراق وسوريا.⁷

سعت كذلك "إسرائيل" إلى تحسين صورة جيشها من خلال مقارنة أفعال جيشها مع الجيوش العربية، وتسويق تلك المقارنات للعالم، فالجيش الإسرائيلي أخلاقي لا يقتل الأبرياء، ولا يرتكب ما تقوم به نظيرته العربية، والمجتمع "الإسرائيلي" محصن لا يقترف ما تقترفه المجتمعات العربية بحق نفسها، و"إسرائيل" دولة قائمة على نظام كامل من الأعراف والقيم الراسخة الثابتة تعيش في محيط غير متحضر يسوده التخلف

⁵المرجع السابق نفسه، ص 126

⁶يسري خيزران، "رؤية إسرائيل للثورات العربية"، حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، 2014م، ص 13.

⁷المرجع السابق نفسه، ص 15.

والهمجية، وإذا ما قامت بأيّ فعل من ذاك القبيل، فهي تتصرف بما يتناسب وذاك المجتمع وليس وما يتناسب وأعرافها.

ورغم ذلك لم يغب عن بال "الإسرائيليين" التحذير من أنّ العرب وإن لم تستمر ثوراتهم وحراكهم بالشكل المطلوب، إلا أنهم استطاعوا إعادة صياغة العلاقة بينهم وبين السلطة الحاكمة لهم، فكانوا للمرة الأولى في بلدانهم مواطنين لا رعايا، على حد وصف إهود يعاري. فالثورات العربية كما يقول شلومو أفينري الثورات العربية - وإن لم تأت بالديمقراطيات المنشودة- أثبتت أنّ العرب قادرون على صنع التغيير، وقد يكون هذا مستقبلاً.⁸

إذا كان الواقع العربي في الفترة الأخيرة يدعم فشل الدول والمجتمعات العربية، فإنّ الأمر الأهم الذي يتناساه الإسرائيليون هو دورهم في هذا الفشل، فهو لم يكن فشلاً حتمياً أو قدراً منزلاً، إنما هو وليد التطورات الحاصلة وتعقيدات الظروف الموجودة. ومن هنا يحاول الباحث الحديث عن أهم الآليات التي تتبعها إسرائيل في تطويع التغيرات التي حصلت عربياً واستغلالها بالطريقة الأمثل فيما سيأتي.

محاولات إسرائيل في تطويع التغيرات العربية

بشكل عام تسعى "إسرائيل" هادفةً إلى تقنين محيطها بهدف البقاء قوة بارزة، ومن هنا فلا غرابة أن تُحاول تطويع متغيرات أي حراكٍ عربي، بما يهدف مصالحها ويتلاءم مع دورها الوظيفي في المنطقة، أو يؤجل على الأقل مسألة التصدي لها في الحسابات العربية، بما يعني مزيداً من فرض أمرٍ واقع على الأرض، أو بقاءً للتناحر الحاصل في المحيط العربي، واستنزافاً للقوى والموارد. ومن ضمن الآليات أو المحاولات التي يُحاول الباحث التعرض لها ما يلي:

أ. ثنائية الفك والتركيب

تستند ثنائية الفك والتركيب إلى التراث الاستشراقي لبرنارد لويس* (Bernard Lewis) هذا التراث الذي لا يستطيع أن يرى الوطن العربي إلا بكونه تجمعاً لأقليات دينية وعرقية، وحتى إذا كان الشعار المطروح هو الديمقراطية، فإنَّ تحقيقها لا بُدَّ وأن يمر عبر التركيز على الاستخدام الواضح للطائفية وتنمية الصراعات أو تغذيتها، وبهذا يُصبح التنوع الطائفي والإثني الموجود في المنطقة في حالة تناقضٍ مستحكم، فيتحول التنوع إلى طاقةٍ تدميرية، ويتم الابتعاد عن الديمقراطية.⁹

تسعى "إسرائيل" من خلال الركون إلى ما تقدم من استدراك وضع ما يجري من متغيرات في المحيط العربي ومحاولة التأثير فيه أو الالتفاف عليه، لتحويله إلى صالحها، فثنائية الفك والتركيب ما هي إلى آلية من آليات تحويل ما جرى من حراكٍ عربي وثورات قامت بها الشعوب طمعاً في التخلص من أنظمة ديكتاتوريةٍ حاكمة واستبدالها بأخرى تلبّي طموحاتها، إلى "فوضى خلاقة" تُستمر في إعادة إنتاج تلك الأنظمة وإخراجها بطريقةٍ جديدة قد تخلف بالشكل ولكن مضمونها مبنيٌّ على أسس وقواعد سلفها من الأنظمة القائمة على استهلاك مقدرات الشعوب والعودة إلى المربع الأول من الحكم الديكتاتوري. وهذا لا يتأتى إلا من خلال تفكيك النظام العربي الموجود أو الإجهاز على ما تفكك منه، وإعادة صوغه ضمن سياسيةٍ جديدة كما حدث في الحالة المصرية، أو تركه يُعاني الصراعات الداخلية الممزقة كما حصل في الحالة السورية.¹⁰

لا يُفترض مما سبق أن يدعم الباحث نظرية المؤامرة أو يعتبرها مركزية في التغيير الحاصل في المحيط العربي، القريب لإسرائيل أو البعيد عنه، بالقدر الذي يُريد منه الإشارة إلى تدخلات إسرائيل أو سعيها نحو ركوب موجة التغيير وتحويل مسارها، والشواهد والأدلة على ثنائية الفك والتركيب متعدد،

*برنارد لويس Bernard Lewis، كاتب ومستشرق بريطاني من مواليد العام 1916م، ولد لعائلةٍ يهوديةٍ أشكنازية، ركزت معظم أعماله على الدراسات الإسلامية والعربية والشرق أوسطية، وخصوصاً ما تعلق بالدولة العثمانية، يُعد برنارد لويس من نخبة المفكرين والباحثين التاريخيين وقادة الفكر الإستراتيجي، تطرق في معظم كتبه إلى موضوع معارضة الإسلام للديمقراطية، واعتبار العرب شعوباً لا تصلح للديمقراطية، ويعتنون بتصدير الإرهاب للعالم بل ويجاهدون في سبيل ذلك، ومن وجهة نظره فإن طريقة منع الخطر المثلي تتحقق من خلال تفكيك المجتمعات العربية من خلال اللعب على وتر التناقضات الموجودة، وإعادة ترتيبها ضمن آلية تضمن بقائهم متناحرين لأطول فترة ممكنة. له مؤلفات عديدة، من أهمها: فيفساء الشرق الأوسط الصادر عام 2000م، وأزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإسلام المدنس والصادر عام 2003م.

⁹خليدة كعسيس، "الربيع العربي بين الثورة والفوضى"، مرجع سابق، ص 229

¹⁰فتحي العفيفي، "الحرب على الفوضى الخلاقة: النزعة المركزية في الثورات العربية المعولمة"، (دراسة في صناعة المستقبل)، بيروت: المستقبل

وأبرزها، ما دُكر سابقاً عن مواقف إسرائيل من المتغيرات العربية، والرفض المطلق للثورة المصرية التي أطاحت بنظام حسني مبارك)، والتأييد العلني الصريح لنظام عبد الفتاح السيسي ومحاولة الدفاع عنه، وتسويقه للعالم على أنه يُلبي إرادة الشعب المصري.

ثنائية الفك والتركيب التي تم استحضارها لركوب موجات التغيير لم تظهر صدفةً في العقل السياسي "الإسرائيلي"، وإنما تم الإشارة لها - وإن لم يكن بنفس المصطلح- في مؤلفات ناتان شارانسكي وخصوصاً في كتابه "قضية الديمقراطية"، فالكتاب الذي يُقسّم دول العالم إلى ما يُطلق عليه "المجتمعات الحرة" و "مجتمعات الخوف"، يضع الدول العربية في الخانة الثانية، على اعتبار أن البلد الذي يخشى تعبير مواطنيه عن آرائهم يندرج تحتها، ويعتبر أن نشر الديمقراطية والحرية في تلك المجتمعات لا ينطلق من ضرورة أخلاقية تفرضها مبادئ إنسانية، بقدر ما هي ضرورة مهمة لحماية "المجتمعات الحرة" وإبقائها مسيطرة، "مجتمعات الخوف" حسب الفكرة لا بُد وأن تثور على حاكميها يوماً ما، ولئن حصل ذلك فعلاً فإنه يعني انبثاق طاقات مخزونه يمكنها منافسة "المجتمعات الحرة"، والإتيان بديمقراطية أعمّ وأشمل من تلك التي تعيشها "المجتمعات الحرة" نظراً لأنّ "مجتمعات الخوف" عانت طويلاً من القمع والاستبداد، فلا بُد إذا أتيحت لها فرصة الحرية أن الذاتية التي تصطنعها بنفسها أن تبحث عن قوانين وتنظيمات تضمن لها عدم العودة للمربع الأول. لذا فلا بُد من صنع فوضى منظمة في تلك المجتمعات قائمة على وتر التناقضات كخطوة استباقية للتفكيك، أو الإسهام في ذلك إن حصل تغيير خارج اليد.¹¹

بإمكاننا هنا أن نأخذ من الحالة المصرية نموذجاً على ثنائية الفك والتركيب التي يتعرض لها الباحث، ففي المرحلة الأولى من التغيير في الحالة المصرية، انهار نظام حسني مبارك تحت ضغط "مجتمعات الخوف" ومحاولتها استعادة حريتها، وهي المرحلة الأولى التي أتت مُفاجئةً، والتي حاولت إسرائيل تجاوزها بدعم النظام أو الدفاع عنه، ثم بالضرورة أن تأتي المرحلة الأخرى، باختيار ممثلين عن الشعوب كخطوة أولى لتحقيق طموحاتهم، وبالضرورة أن تكون مخالفة لمراحل الحكم الأولى التي ثار عليها "مجتمع الخوف"، وقد تمثلت في الحالة المصرية بالانتخابات البرلمانية والرئاسية، وهي النقطة التي تستدعي التفكيك، واستحضار كل العوامل المُساعدة في ذلك، باعتبارها مرحلة تحضيرية قد تؤهل للاستقرار،

¹¹رمزي المنياوي، "الربيع العربي بين الثورة والفوضى"، دمشق: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2012م، ص 10.

والتحضير لمرحلة التركيب، ثم أتت المرحلة الثالثة في الحالة المصرية، باستيلاء الجيش على السلطة وعزل قادة المرحلة السابقة، والإتيان بقيادة جدد هم إعادة تدوير للنظام الأول، وهي المرحلة الأخيرة التي تستدعي التثبيت، والعمل على ترسيخ أركانها. وقد تمثلت هنا من خلال الدعم الإسرائيلي المقدم للنظام المصري. والشكل التالي محاولة لتوضيح ثنائية الفك والتركيب.

ب. تغييب النزعة المركزية للقيادة

يُعد تغييب النزعة المركزية للقيادة العربية أمراً في غاية الأهمية بالنسبة لإسرائيل، فوجود دولة عربية محورية تلتف حولها باقي الدول، وتتعامل معها على اعتبارها ضامناً لعدم التفتت، ورأس حرب في أي صراع، وثقلاً موزاناً للعلاقة مع إسرائيل، يعني تعاملاً من منطلق الندية، ورفضاً لأي سيطرة أو علاقة قائمة على المصلحة الفردية، واستقلالية للقرار العربي، وهذا بدوره يُشكل مدعاة لاستشعار خطر كبير في طريقه للتشكل أو التكون.

وهنا نتناول الحالة المصرية كنموذجٍ للتوضيح، فبعد سقوط نظام حسني مبارك، بدأت إسرائيل تستشعر الخطر الكامن في معنى استعادة مصر لدورها العربي، وتفعيل مركزها المحوري الذي غاب سنوات، أو انعدم تأثيره في صنع القرار العربي المستقل، الذي يعني بدوره مزيداً من الأمن والاطمئنان الممنوح طوعاً لإسرائيل. فغياب مصر هنا، عنى غياب العامل الجاذب للمشروع العربي المُتمثل في المشرق والمغرب.¹²

بعد التمكن من إسقاط النظام المصري الذي قام بعد ثورة 25/يناير، ومجيء نظام الحكم العسكري في مصر، حاولت إسرائيل إعادة إحياء ما عُرف بمحور الاعتدال العربي، وتحفيز نزعته، من باب التحذير من أخطار عدة تُحدق به، من ضمنها التمدد الإيراني في المنطقة واعتباره مشروعاً مناهضاً للمشروع العربي، بل ماحياً له، والإيحاء بأن التحالف مع إسرائيل وضبط العلاقة معها، يمنح الدول العربية المستهدفة نوعاً

¹²سليمان تقي الدين، "العرب في مخاض التغيير"، بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012م، 138.

من الأمان، يُمكنها من المواجهة، ولعل هذا يتجلى واضحاً في دعم النظام المصري الحالي من قِبَل إسرائيل، بالإضافة إلى التوصيات بفتح علاقةٍ مع المملكة العربية السعودية.¹³

في المحصلة صعيد المتغيرات العربية تجدرُ الإشارة إلى أنها لعبت دوراً مؤثراً في بقاء إسرائيل سواءً بقصد أو بدونه، فوجودُ دولٍ عربيةٍ امتازت بطبيعيةٍ وظيفيةٍ صلبةٍ وأنظمةٍ ديكتاتوريةٍ، غيَّب الشعوب عن المواجهة مع إسرائيل، وقدم لها المزيد من التنازلات سواءً بالاتفاقيات الموقعة التي أراحتها من عبءٍ أمنيٍّ كبير، أو بمحاولة تجنبها ومنع شعوبها من التصدي للخطر الإسرائيلي القائم، مما أكسب إسرائيل الوقت لتمرير سياستها الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية مستغلةً بذلك حالة الضعف والوهن التي عاشتها الدول العربية ولا سيما المحيطة بها. يُضاف إلى ذلك أنَّ تلك الدول اقتنعت بالروايات الإسرائيلية حول وجود جيش لا يقهر بحوزتها من خلال حروب لم يُخطط لها عربياً بحزم وانتصرت إسرائيل فيها، فظنَّت تلك الدول أنَّ إسرائيل أسطورة لا يُمكن التغلب عليها، وأصبحت أمراً واقعاً، فاستسلمت لذلك المصير بوجودها، الأمر الذي فنَّه معارك خاضتها منظمات عربية لا دويلاتية كحزب الله وحماس ضد إسرائيل، استطاعت فيها قهر تلك الأسطورة، بل واستدعى الأمر تدخل الدول الداعمة لإسرائيل في محاولةٍ لمنحها نصراً مزيفاً أو للتوصل لحلٍّ يكسب لها ماء الوجه.

استفادت "إسرائيل" من حالة الضعف العربي، ومكثَّتها الظروف من الاستمرار، خاصة في ظلِّ وجود أنظمةٍ وظيفيةٍ صلبةٍ، ولكنَّ المتغيرات العربية الحالية والتي تتسارع في مآلاتها وتحولاتها لا سيما بعد العام 2011م، وهو العام الذي انطلق فيه الحراك العربي، وعلى الرِّغم من أنَّ إسرائيل استفادت منه بوجودِ دولٍ عربية تفككت كسوريا، إلاَّ أنه أدخل "إسرائيل" في حالةٍ من اللاتيقين الأمني على حدودها، وحول الصراع من صراعٍ منظمٍ مع جيوشٍ معروفةٍ في العدد والعدة، إلى صراعٍ فوضويٍ قد يتحول في أيِّ لحظةٍ إلى مواجهةٍ مع منظماتٍ وتنظيماتٍ وحركاتٍ متعددة، وهو الأمر الذي اعتبرته إسرائيل خطراً إستراتيجياً في مؤتمرات أمنها القومي، صحيحٌ أنَّ الصراعات ما زالت محصورةً داخل الدول العربية، ولكنَّ إسرائيل ترى

¹³The Interdisciplinary Center Herzliya: "Lauder School of Government Diplomacy and Strategy, Institute of policy strategy" The Thirteenth Herzliya Conference: Time for New National and Regional Agendas: Preliminary Program, 11: 14 March 2013,

http://www.herzliyaconference.org/eng/_Uploads/dbsAttachedFiles/ProgramE, p17

فيها ظروفًا متحوّلةً يصعبُ التكهنُ بمصيرها بسببِ الفوضى التي تعمُ المنطقة. لذا تسعى إسرائيل إلى المحافظة على الأنظمة العربية الديكتاتورية التي ما زالت موجودة، وتسعى لعدم تحوّلها لأنظمة ديمقراطية، لأنّ التحول لتلك الحالة يُعدّ خطراً قاتلاً بالنسبة لإسرائيل، فالديمقراطية تعني شعوباً مقررة غير مهزومة، يُمكنها تقرير مصير بلادها، لا شعوباً تُقيدها اتفاقات دولها الموقعة عنها دونَ رضَى. لذا فإنّ ما يُهدد إسرائيل ضمن المتغيرات العربية حالة اللايقين الأمني القائمة والتي تدعمها الفوضى في المنطقة وزيادة أدوار المتدخلين الخارجيين، وكذلك تحول الأنظمة العربية التي اعتادت عليها لأنظمة ديمقراطية سواءً بسقوطها، أو استبدالها بأخرى. لذا فالمتغيرات العربية الحالية تبدو وأنّها تؤثر سلباً على إسرائيل إن لم يكن في المدى القريب ففي المتوسط.

تُحاول "إسرائيل" استدراك العلاقة مع الدول العربية بزيادة زخم التطبيع، وإقامة التحالفات والعلاقات، مدعيةً أنّها تقبّع معها في نفس المحور المعادي للإرهاب، وفي نفس الخندق المواجه للطموحات الإيرانية بالتوسع في المنطقة، هذا التطبيع وإن تمّ أو ما زال يتبلور، قد يشي للناظر أنّه يصبّ في مصلحة إسرائيل؛ ولكنّه على المدى المتوسط يحمل الكثير من التناقضات بل والسلبيات تجاه إسرائيل والدول العربية المطبّعة، كونه لا يجري مع الشعوب وإنّما مع الحكومات، لذا لا يُمكنُ المراهنة عليه كعنصر نجاح للإسرائيليين.